

الوافي في الوفيات

ولما أخرجت جنازة الصريمية المغنية كان أشعب جالسا مع نفر من قريش فبكى عليها وقال : اليوم ذهب الغناء كله . وترحم عليها ثم مسح عينيه والتفت إليهم وقال : وعلى ذلك فقد ذلك الزانية شر خلق ! .

فضحكوا وقالوا : يا أشعب ليس بين بكائك عليها وبين لعنك لها فرق ؟ قال : نعم كنا نجئها الفاجرة بكبش إذا أردنا أن نزورها فتطبخ لنا في دارها ثم لا تعشنا إلا بسلق . وجاز به يوما سبط لابن سريج فوثب إليه وحمله على كتفه وجعل يرقصه ويقول : فديت من ولد على عودٍ واستهل بغناء وحنك بملوى وقطعت سرتي بزير وختن بمضراب . وتبع امرأة يوما فقالت له : ما تصنع بي ولي زوج ؟ قال : تسري بي فديتك ! .

وقيل له : رأييت أطمع منك ؟ قال : نعم كلب أم حومل تبعني فرسخين وأنا أمضغ كندرا ولقد حسدته على ذلك . وخفف الصلاة مرة فقال له بعض أهل المسجد : خفت الصلاة جدا . فقال : إنها صلاة لم يخالطها رياء . وقال له رجل كان صديق أبيه : كان أبوك عظيم اللحية فمن أشبهت أنت ؟ قال : أشبهت أُمي . وقيل له : هل رأييت أطمع منك ؟ قال نعم خرجت إلى الشام مع رفيق لي فنزلنا بعض الديارات فتلاحينا فقلت : أير هذا الراهب في حر أم الكاذب ! .

فلم نشعر إلا بالراهب قد اطلع علينا وقد أنعط وقال : أيكما الكاذب ؟ . وقال له رجل يوما : ضاع معروف عندك . قال : لأنه جاء من غير محتسب ثم وقع عند غير شاعر . وكان أشعب لا يغيب عن طعام سالم بن عبد الله بن عمر فاشتبهت سالم يوما أن يأكل مع نباته فخرج إلى بستان فخير أشعب بالقصة فاكثرى جملا بدرهم فلما حاذى حائط البستان وثب عليه فصار عليه فغطى سالم بناته بثوبه وقال : بناتي ! .

فقال أشعب : إنك لتعلم " ما لنا في بناتك من حق " وإنك لتعلم ما نريد " . ويقال : إن أم أشعب بغت فصربت وحلقت وحملت على غير يطاق بها وهي تقول : من رأيي فلا يزني ! . فأشرفت عليها طريفة من أهل المدينة فقالت لها : إنك إذا لمطاعة نهانا الله عنه فما قبلنا ندعه لقولك . وقال يوما رجل لأشعب : ما بلغ من طعمك ؟ فقال : ما سألتني عن هذا إلا وقد خبأت لي شيئا تعطيني إياه .

وقيل : هو من موالى عثمان . وقيل : ولاؤه لسعيد بن العاص الأموي . وقيل : هو مولى فاطمة بنت الحسين . وقيل : مولى ابن الزبير . وتوفي سنة أربع وخمسين ومائة . وولد سنة تسع من الهجرة فعمر دهرا طويلا . وامراته بنت وردان الذي بني قبر رسول الله صلى الله عليه وآله حين هدم الوليد

بن عبد الملك المسجد على يد عمر بن عبد العزيز . وكان أشعب قد تعبد وقرأ القرآن وتنسك وكان حسن الصوت بالقراءة . وكان ربما صلى بهم في المسجد . وهو خال الواقدي . وقد أسند عن أبان وغيره وقد روى عنه غياث بن إبراهيم القرشي ومعدي بن سليمان وأبو لبابة وعثمان بن فائد .

وقال سليمان الشاذكوني : كان لي ابن في المكتب وأشعب جالس عند المعلم فقرأ " إن " أبي يدعوك " فقام أشعب ولبس نعليه وقال : امش بين يدي ! .

فقال : إنما أقرأ حزبي . فقال : قد علمت أنك لا تفلح لا أنت ولا أبوك .

قال المدائني : قال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة وقلت : اللهم أذهب الحرص عني ! .

فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً فجئت إلى أمي فقلت ذاك لها فقالت : وإني لا تدخل بيتي أو ترجع فتستقبلني تعالى . فرجعت فقلت : يا رب قد سألتك أن تخرج الحرص من قلبي فأقلني ! .

ثم رجعت فلم أمر بمجلس فيه قریش ولا غيرهم إلا سألتهم وأعطوني ووهب لي غلام فجئت إلى أمي بحمار موقر فقالت : ما هذا ؟ فخفت إن أعلمتها أن تموت فقلت : وهبوا لي غين . قالت : ويلك وما غين ؟ قلت : لام . قالت : وما لام ؟ قلت : ألف . قالت : وأي شيء ألف ؟ قلت : ميم . قالت : وأي شيء ميم ؟ قلت : غلام وسقطت مغشياً عليها . ولو سميته أول سؤالها لما ت . ورأى على عبد الله بن عمر كساء فقال : سألتك بوجه الله إلا أعطيتني هذا الكساء . فرمى به إليه . وكان يقول : حدثني عبد الله بن عمر وكان يبغضني . وكان أشعب مجيداً في الغناء وذكره إبراهيم الرقيق في كتاب الأغاني له وذكر جملةً من أخباره وغنائه .

ابن قيس